

الوافي في الوفيات

وكان قد تزوج بامرأة لها منزلٌ باعه أمين الحكم وخلقى من اشتراه له فتقدم قطنبة إلى الأمير علاء الدين وأنشده : من البسيط .

سبت فؤاد المعنى من تثنيتها ... فتانةٌ كل حسن مجمع فيها .
إنسيةٌ مثل شمس الأفق قد بزغت ... وحشيةٌ في نفورٍ خوفٍ واشيها .
منها : من البسيط .

قهرت بالجانب البحري طائفةً ... فول وجهك يا مولاي قبلها .
وانزل بأصفون واكشف عن قضيتها ... وكف كف شهود أصبحوا فيها .
عندي يتيمة تركيٍّ طفرت بها ... لها من الأجر جدرانٌ توارىها .
تعاونوا مع أمين الملك واغتصبوا ... أخفوا وثائق فحوى خطهم فيها .
حتى أبيعته عليها نصف حصتها ... ما حيلتي وأمين الحكم شاريها .
ما زلت أفحص عن تلك الوثائق يا ... مولاي حتى أبان الأخطار فيها .
وها هي الآن عندي وهي ثابتة ... فامض الولاية فيمن كان يؤذيها .
ومات له صاحبان كانا خصيصين به فقال الشهاب أحمد بن أبي الحسين الأصفوني : ما لقطنبة تأخر عنهما ؟ فبلغه ذلك فقال : من الخفيف .

ما تأخرت عنكما عن ملالٍ ... غير أنني أروم صيد الشهاب .
فأنا مثل فارس البحر لا ب ... د بطفري أصيد أو بنا بي .
وكان قد وقع بينه وبين نجم الدين بن يحيى الأرمني فهجاه بقصيدة منها : من الخفيف .
يا إلهي أرحتها منه في الحك ... م أرحها من ابنه في الخطاب .
فقال له الخفراء : يا قطنبة الياسرية جاءوا من أرمنت يريدون قتلك أرسلهم ابن يحيى وما نقدر على ردهم انج بنفسك .

فخرج من أصفون ولم يعرف له خبرٌ . والأعلم .

الشيخ نجم الدين الصفدي .

الحسن بن محمد الشيخ الإمام الفاضل نجم الدين أبو محمد ابن الشيخ كمال الدين القرشي القرطبي الكركي المولد الصفدي .

كان بصفد والده خطيب القلعة وكان ينوب عن والده وكان يكتب الإنشاء بصفد ويوقع بين يدي النواب فلما قدم الأمير سيف الدين بتخاص - المذكور في حرف الباء - إلى صفد حضر معه الشيخ شهاب الدين بن غانم المذكور في حرف الأحمدين . وكان زين الدين عمر بن حلاوات قد

قدمه الشيخ نجم الدين وجعله يكتب عنده فما زال يسعى إلى أن وقع الاتفاق بينهما وبين القاضي شرف الدين حاكم صفد وغيره وقرروا الأمر مع النائب وقطع الشيخ نجم الدين من التوقيع وبقي بيده خطابة الجامع .

ثم إنهم ضاروه حتى توجه إلى دمشق خفيةً وكان الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار بدمشق يومئذ مشد الدواوين وله به معرفة من صفد فاستخدمه في كتاب الإنشاء بدمشق وكتب قدامه . وكان القاضي محيي الدين بن فضل الله يأمن إليه ويقدمه ويستكتبه عنده في السر وغيره وكان بيده خطابة جامع جراح بدمشق .

ولما أتى الأمير سيف الدين كراي إلى دمشق نائباً كان يعرفه من صفد ويركن إلى أمانته فقلده الأمر وعذقه به فتعب تعباً مفرطاً ونصح مخدمه فعادى الدماشقة ومقتوه فلما أمسك كراي اختفى فسلمه الله .

ثم إنه عاد إلى صفد خطيباً وموقعاً وكان زين الدين بن حلاوات قد انفرد بالأمر فدخل إلى النائب وقرر معه ما أراد فلم يمكن نجم الدين من مباشرة شيء فبقي في صفد إلى أن حضر له توقيعٌ ثانٍ وكلما حضر شيءٌ يسعى في تعطيله إلى أن أشركوا بينهما في الوظيفتين . فأقاما مدة ووقع بينهما فطلبوا إلى دمشق وقرر الأمير سيف الدين تنكز أن يخيرا كل واحد ينفرد بوظيفته فاختر الشيخ نجم الدين خطابة القلعة والجامع بالمدينة واستقر زين الدين بن حلاوات في التوقيع .

ولم يزل خطيباً إلى أن توفي فجأةً في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة ولم تسمع أذناي خطيباً أفصح منه ولا أعذب عبارةً ولا أصح أداءً كأنه يقرأ الخطبة تجويداً لمخارج الحروف . وكان لكلامه في الخطابة وقعٌ في السمع وأثرٌ في القلب .

وتخرج به جماعةٌ فضلاء وقل من قرأ عليه ولم يتنبه ولم أر مثله في مبادئ التعليم كان يفتق ذهن المشتغل ويوضح له طرق الاشتغال ولم أر مثله في تنزيل قواعد النحو على قواعد المنطق وكان يحب فساد الحدود والرد عليها والجواب عنها